النتاج الجديد

« بيروت ٧٥ »

رواية تأليف غادة السمان

منشورات دار الاداب ـ بيروت

شهدت الساحة الادبية في العالم العربي ، مع بداية هذا القرن، ظهور العديد من الاديبات امثال ، مي زيادة ، كوليت خوري ، ليلى بعلبكي ، الفة ادلبي ، صوفي عبدالله ، وداد سكاكيني ، نازك الملائكة، سميرة عزام ، بنت الشاطيء ، سليمه خضير ، سلمى الحفارالكزبري، سهير القلماوي ، رباب الكاظمي ، امينه ماجد العدوان وهذه الاخيرة من الاردن .. الخ .

لكن قلة من الاديبات الشرقيات استطعن التحرر من قيود التقاليد للانطلاق في رحاب الحرية الشخصية ونشر افكارهن بجرأة استحقت غضب المجتمع وثورته في اغلب الاحيان .

وبرزت بعض الاسماء بينما احتجبت اسماء اخرى ، وتوقف الادب النسائي عن متابعة مسيرته الجريئة حيث عجزت بعض الاديبات عن تطوير معالجة وضع المرأة في المجتمعات الشرقية ، الا ان هنالك بعض الاصوات النسائية ما زالت تطالب باحترام المرأة ، اقوى تلك الاصوات في عالمنا العربي اليوم ، هو بلا شك الاديبة السورية والمقيمة في بيروت حاليا « غادة السمان » التي اندلع صوتها لاول مرة منذ اوائل الستينات حيث تخطت حاجز المجتمع الشرقي القاسي .

وكان البعض يعتقد ان هذا الصوت الجديد لا بد وان يخفي سريعا ، مثله مثل بقية الاصوات النسائية التي ظهرت على مسرح الادب العربي ، ولم تستطع متابعة السير .

الا ان « غادة السمان » تزداد نضجا فكريا يوما بعد يوم ، والقارىء يلاحظ ذلك من خلال اعمالها الادبية التي تتميز بالجرأة والصراحة والصدق مع التجربة ، ويختار الدارس والباحث امام شخصية « غادة السمان » من اي الزوايا يتناولها .. واذا كان لا يمكن لمقال محدود الكلمات ان يستوفي جوانب هذا العالم الفني ولا ان يجلو ابعاد تلك الشخصية الفذة ، المتعددة النشاطات والاتجاهات ، فانني ساحاول في كتاب لي سيصدر قريبا في بيروت ، ان اتناول شخصية اديبتنا العربية من جميع النواحي الادبية والفكرية والاجتماعية ، ومواقف صراعها مع المجتمع الشرقي ، ذلك الصراع الذي كان احد العوامل الهامة في تكوين حياتها الادبية ..

لكني في هذا المقال سأتعرض لاخر نتاج صدر لغادة السمان التي احببناها في « عيناك قدري » و « لا بحر في بيروت » و (ليل الغرباء) و « رحيل المرافيء القديمة » و « حب » .

غادة السمان تعوداليناالبوم بعمل جيد وقيم ، وهو قمة ما كتبت حتى اليوم . انها رواية « بيروت ٧٥ » التي صدرت مؤخرا عن دار الاداب اللبنانية ، ونشرتها مجلة الاسبوع العربي في اواخر العام الماضي في سبع حلقات .. ويلاحظ ان غادة السمان من اكثر الادباء والاديبات انتاجا لهذا العام . فلقد صدر لها عن دار الاداب طبعات جديدة لمجموعتيها السابقتين « ليل الغرباء » و« رحيل المرافيء القديمة » بالاضافة الى ان دار الاداب ستصدر قريبا ثلاثة كتب اخرى بالعناوين التالية « اعلنت عليك الحب » و « السباحة في بحيرة الشيطان » و « يوميات فتاة عربية في اوروبا » .

و« بيروت ٧٥ » الرواية الاولى لغادة السمان . الا اذا استثنينا مجموعتها السابقة « ليل الغرباء » التي حاولت فيها المؤلفة كتابة رواية على طريقتها .. اي مجموعة قصص يمكن ان تقرأ كل منها على حدة .. الا ان قراءة المجموعة ككل تعطيك رؤيا بانورامية لشاشة واحدة واسعة .. والناقد حين يتناولها ، يتناولها من جهة انها تكاد تكون رواية وليست مجموعة قصص .ـ

تتحدث رواية ـ بيروت ٧٥ ـ عن سيارة تاكسي قادمة الى بيروت من دمشق ، تحمل خمسة ركاب لا يعرف بعضهم بعضا : سوريان هما فرح وياسمينه .. لن يعودا الى بلدهما الا ثريين ومشهورين ،ولبنانيان هما طعان وابو مصطفى الصياد .. والخامس ابو الملا . تقول غادة انه من جنسية قيد الدرس .

وتبدو لهم بيروت من بعيد مركبا جميلا مشعشعا بانوار الامل والحنان والحب ويطوف في بحر السلام والحرية والامان ..وعندما وصلوا الى مدخل بيروت وجد فرح نفسه يردد كلمات دانتي المكتوبة على باب الجحيم « يا من تدخل الى هنا تخلّ عن كل امل ! ». ولم تمض مدة ، الا وبدأوا يغرقون من كنوز دافئة من الضياع ، والتشرد والغربة واللامبالاة والانحطاط والعهر الاخلاقي .. ولنحاول الان التعرف الى هذه الشخصيات التائهة التي احتوتها « بيروت ٧٥ » .

ياسمينة : فتاة فقيرة في السابعة والعشرين من عمرها كانت استاذة في مدرسة الراهبات بدمشق .. سئمت العمل هناك ، فجاءت بيروت تبحث عن المال والشهرة ونشر اشعارها في صحف بيروت العديدة . ولكنها تلتقي باللبناني الثري « نمر » فتحبه وتقيم معه بدلا من اخيها الذي كانت تقصده . وتكتفعن عملها كمدرسة . وتتفرغ للحب ، وتفقد عذريتها ذات ليلة حمراء على ظهر المركب وتصبح عشيقة نمر .

فرح : الشاب السوري يترك قرينه ويبحث في بيروت عن المليونير نيشان ابن قريته سابقا ليأخذ بيده في درب الشهرة ، وبناء على رسالة توصية من والد فرح . ولكن نيشان في اوروبا وفرح يتسكع فيشوارع بيروت غارقا في بحر الغربة والضياع والدهشة من لا مبالاة الناس في بيروت من الطائرات الاسرائيلية التي تتنزه في سمائهم .

ابو مصطفى : لبناني صياد سمك .. طوال ثلاثين عاما وهو يحلم بان يخرج الفانوس السحري من شباكه ليحقق له الحياة الرغيدة والثروة الطائلة واسعاد اطفاله ، وبعد مرضه وموت ابنه علي فيالبحر، ياخذ ابنه مصطفى ليخرج معه الى البحر ويحاول تعليمه مهنة صيد السمك ـ لكن مصطفى يحلم بان يكون شاعرا.. ويتمنى اكمال دراسته وعالم والده لا يعجبه ..

ويجد خلاصه الوحيد في الانضمام الى حزب ثوري . ويبتشعور الكراهية والنقمة والثورة بين صفوف الصيادين ضد مستغليهم ومحتكريهم ، من كبار التجار امثال نمر ووالده السلموني كما يدوت ابو الملا بعد سرقة التمثال ..

اما طعان الشاب الجامعيفيحكم عليه بالاعدام بعد ان قتل رجلا غريبا لم ير وجهه من قبل ، ظنا منه انه هو الرجل الذي ارسلته عشيرته لقتله .

وتنهي غادة السمان رواية « بيروت ٧٥ » بهرب الشاب فرح من مستشفى المجانين وخلعه اللافتة المكتوب عليها اسم المستشفى

ووضعها في مدخل المدينة بدل اسم بيروت . وهنا تؤكد غادة السمان بان مدينة بيروت هي مدينة المجانين .

ولماذا لا تكون المدينة .. مدينة مجانين ما دام القوي يأكل الضعيف، وما دامت الطائرات الاسرائيلية تحلق في السماء بشكل يومي وابتسامة اللامبالاة ترتسم على الشفاه وفي شوارع الحمراء ..

واذا كانت الميزة العامة لكتابات غادة السمان هي الصراحة والجرأة والصدق مع التجربة ، فان هذه السمة لا تكاد تتجلى في اي من مجموعاتها بالشكل الذي تتجلى به في روايتها الاخيرة « بيروت ٧٥ » .

فها هي تذكر موقفا جنسيا يدور بين نمر وياسمينة بشيء من العفوية لا كما يتخيل البعض من ان غادة السمان تعالج قضايا المرأة العربية من زاوية الجنس فقط .. الجنس حقيقة ثابتة في ادبها ، ولكنه ليس العنصر الاساسي ، لانه ايضا حقيقة ثابتة في مجتمعنا العربي ، فهو موضوع لا تتجنب الكتابة فيه ولا تتعمد الكتابة عنه . اي انها ليست معقدة منه بمعنى الهرب منه او الانغماس فيه .. الجنس حقيقة من حقائق حياتنا ولكنه ليس الحقيقة الوحيدة ، ضمن هذا الاطار تتناوله وكما تتحدث عن القمع الذي يعاني منه الفرد العربي على الصعيد الفكري والسياسي والاقتصادي وتقف ضده ، فانها ايضا تقف ضد القمع الجنسي الذي يشتت طاقات الفرد العربي ويسلمه لمهاوي الازدواجية والانطواء او الاستعراضية . ويحرمه من انشاء علاقات صحية معافاة مع المرأة .

وفي الوقت الذي تحكم فيه غادة السمان على شخصيات روايتها « بيروت ٧٥ » بالموت فانها ايضا تفتح بابا للامل عبر الشاب مصطفى الذي بدأ يبحث عن حل اخر غير الفانوس السحري .. الذي أودى بحياة ابيه . لقد وضعت غادة السمان اصابعها على الجرح الاليم الذي يعاني منه الفرد العربي لذلك فهي تبشر بولادة جيل جديد قادر على تحمل مسؤوليات امته العربية .. واختارت له طريقا واحدا ... طريق الثورة والنضال وهما السبيل الوحيد امام الشعوب الكادحة ضد مستغليهم .

عمان **ممدوح وادي**

زمن الصمت والضباب

مجموعة قصص بقلم سليمان فياض

منشورات دار الاداب ـ بيروت

سليمان فياض واحد من قصاصي الجيل الثاني . ولو افترضنا ان الجيل الاول ابتدأ بمحمود تيمور واحمد رشدي صالح ويوسف الشاروني ويوسف ادريس ومحمود البدوي وامين يوسف غراب واحسان عبدالقدوس وغيرهم من قصاصي فترة الخمسينات في مصر، وممن كانت نتاجاتهم تخرج متلاحقة في سلاسل شعبية كالكتاب الذهبي والكتاب الماسي ، فان سليمان فياض يكون قد جاء ومعه مجموعته القصصية الاولى « عطشان يا صبايا » ومرحلة الخمسينات قد انتهت بعهد جديد من الكتابة القصصية .

ففي مرحلة الستينات في العراق دخلت القصة طورا جديدا ، واستطيع ان اسميه دور « اللاقصة » . بحيث بدأ القاص الستيني الجديد يكتب ولم تكتمل في ذهنه اداة القصة الكلاسيكية من بناء متكامل يحتوي على الحدث ، اي الموضوع ، ثم تنمو فيه الشخصية ويأتي وصف الاطار العام ، الشكل ،الذي يجري او يتحرك بداخله الحدث أو تنمو الشخصية بعد ذلك ، وانما اكتفى بعرض الحالة النفسية والتي هي صورة ذاتية معتمة يعرض فيها الكاتب سأم الحياة وعبثية الوجود وضبابية الايام . بينما واصل البعض الاخر نتاجه مزاوجا بين مواصفات القصة والشكلية الجديدة .

هذا في العراق . اما في مصر فان الاجيال التي بدأت تكتب قصة قصيرة كانت اكثر التزاما بفن القصة وبالمواضيع الاجتماعية المعبرة عن الحياة اليومية والقضايا التي يتعامل بها الناس ، وذلك من خلال اطلاعنا على النماذج القصصية العديدة التي نشرتها مجلة القصة والمجاميع المتعددة التي ظهرت .

وسليمان فياض واحد من هؤلاء الذين لم تبهرهم الشكلية الجديدة وانما استطاع ان يحافظ على مستواه وان يطوره اكثر وخاصة في مجموعته الجادة « احزان حزيران » . وهو كاتب مقل وان بدأ نتاجه الان يكثر بعد ان بدأت دور النشر العربية تطبع كتبه وخاصة في بغداد وبيروت . يقول سليمان فياض : القصة عندي هواية وليست احترافا ، فانا اعمل في التدريس واستعين على العيش بالكتابة للاذاعة والتلفزيون ولا اختار في الكتابة القصصية الا التجارب الفنية الجديدة والتي لا تتكرر في تجارب اخرى سبق وكتبتها والتي تتوفر فيها العناصر الدرامية ، ويهمني ان اشير هنا الى قلة كتاباتي القصصية ، اذ تمر فترة سنوات عديدة لا اكتب فيها الا قصصا معدودة » .

وفي هذه المجموعة التي نحاول ان نستعرض احداث قصصها والمسماة « زمن الصمت والضباب » نجد الواقع المصري ، واقع المدينة وواقع الريف ، ونقد ذلك الواقع الذي يتناوله المؤلف في قصة يطلق عليها « في زماننا » . (في عصرنا هذا عصر الحسابات اليومية والدقة في المواعيد والتحديد الزماني الذي يكاد أن يشل حركة الانسان ويفقده انسانيته وبساطته ورتابة الحياة وسعادتها بما توفره الطبيعة من عناصر حية نابضة . وزماننا هذا نعيشه نحن وتعيشه انت وكل الاخرين الذين تعرفنا عليهم واستطعنا ان نرفد حركتهم اليومية من خلال اماكن معيشتهم حيث البيت والشارع ومكان العمل) .

فالحركات الثلاث التي تبدأ بها القصة تتناول يوسف من داخل بيته وعائلته وخروجه في الصباح بعد توديعه لزوجته .

والملاحظ أن يوسف سعيد بحياته الزوجية وهو يحاول ان يعود مسرعا لبيته بعد انهائه عمله . وبعد شعور ، سيطرت عليه فكرة انه لا ينبغي أن يحدث له شيء حتى يكون لها . أي لزوجته ولولديه، معاش طيب من بعده . ثم همس لنفسه « ربنا يستر » .

والحركة الثانية حينما ننتقل او ينتقل بنا القاص الى عائلة اخرى ، عائلة شعبان سائق التاكسي وخصامه مع زوجته ، ثم خروجه من باب البيت دون ان يغلقه .

والحركة الثالثة وهي الاهم ، هي حركة يسري مع نفسه وكيف كان موزعا بين احتراف الكتابة وترك عمله كمهندس ثم حالة الضياع التي بدأ يشعر بها حينما بدأ يكتب كل شيء .

وتلتقي في نهاية القصة الحركات الثلاث بحدث واحد الا وهو موت يوسف تحت عجلات سيارة في وسط الشارع بينما كان يسري

يقف قريبا منه او قرب باب العمارة التي يسكن فيها ، ثم اخذ سيارة وذهب الى عمله وكان سائق التاكسي سعبان السائق نفسه ، ثم بعد وقت طلب من السائق ان يذهب به الى شارع جلال وهو صريع حالة نفسية خاصة .

تخيل نفسه يهبط من السيارة ، يقف خطيبا بين الناس ، يصيح بهم انقذوا ارواحكم ، انقذوا اطفالكم. وفكر : سينظرون اليه في بلاهة ، فكر ! من اليسير ان تتكلم من الممكن ان تتكلم . من السهل ان تريد ان تتكلم. من السهل ان تريد ، لكن المشكلة هي في ان تفعل ما تقوله ، أن تنفذ ما ترغبه .

صاح بالسائق فجاة

ـ لا ، اسمع ! عد بي الى البيت .

وهذه اللحظات المتازمة والتي تبدأ حياتها من الداخل وتحاول ان تتقوقع بين الجدران هي صرخة داخلية حزينة معبرة عن احتجاج رافض لهذا الواقع الذي بدأ ياخذ بالانسان بعيدا عن البساطة والاحساس بالجمال والاستمتاع بالحياة التي نريدها .

هذا هو النموذج الاول لقصص المجموعة .

اما النموذج الثاني فهو قصة « الصوت والصمت » .

فحينما يرين الصمت فوق سطوح القرية واماكنها الخالية يبقى صوت طه وتفيده يشق وحشة الليل . طه وتفيده هما الزوج والزوجة . يفقدان ابنتهما وردة . ومن قبل فقدا ولدهما محمد . ويظهر ان البنت ماتت غرقا في حوض الطاحونة . الاب يفتش عن زوجته وام ابنته بعد نهار حزين فلا يجدها . يضع المفتاح في ثقب الباب ثم يقفله ويخرج الى الطريق . ومن هناك يمر على مقبرة القرية فيشاهد كلبه الذي يتبعه . انه ينوح ولم يزل تهتز ظلاله مع ارتعاشة انينه . تبعه وجد زوجته تفيده هناك وكانت ملتصقة بقبر طفلتها . اخذها من هناك ثم عاد بها الى البيت . يحاول القاص ان ينقل الحس النفسي من اعماق الشخصية ويحوله إلى واجهة حقيقية تماما كصورة الشخصيات والمشاهد حينما تظهر على شاشة السينما وذلك بان ركز ذلك العمق الذي يعتمل في نفس الشخصية في كل مكان من واقع الانسان .

تفيدة المرأة ، وطه الرجل ، والكلب ذلك الحيوان الذكي والقرية هذه الاشباح الرهيبة ، بيوتها وظلالها ، وتجسيد الخوف الكامن في كل عطفة فيها جوّله الكاتب الى مشاهد عديدة يستطيع القاريء ان يصطدم به وينظر اليه ولا يحسه فقط وانما ان يتناوله وهو في تلك الصورة الداخلية للمرأة والرجل . القرية هادئة ، والعالم ساكن الا من خلال الصوتين والهاجسين .هاجس الموت الذي يفرضه وجود المقبرة والطفلة والاشباح ، وهاجس الحياة الذي يفرضه وجود الجسمين مقتربين حينما استدارت اليه ولفحته انفاسها .

هذان نموذجان : الاول عن قصة تجري احداثها في المدينة ، والثاني قصة تجري احداثها في الريف . وسليمان فياض كاتب له خبرة وتجارب شخصية . فهو يقول :

« في داخلي رؤيا مكثفة لعالم القرية وللمدن الصغيرة والكبيرة التي عشت فيها في مصر وخارج مصر وهي تؤرقني واود لو كتبتها يوما ما رواية طويلة » .

وتمضي رحلة سليمان فياض بعد ذلك في قصته « الضباب »، وحالة وديع عبدالباقي المرضية الفريدة وحالة الرفد الدقيقة التي يتحرك بموجبها ذلك الموظف حينما تتراقص امام قينيه تلك الهالات السوداء بحيث تشخص تلك الحالة باختلال في مركز التوازن . وهذا ما اراد ان يطرحه الكاتب .

ثم تأتي قصة « القفص » وصورها الحلمية حيث يصطدم الحلم بالواقع . وكذلك في العربة الرمادية اللون ، حيث الخوف والشعور بعدم الاطمئنان والهرب من اللصوص الى القتلة .

وحينما يطرح سليمان فياض هذه النماذج الفاجة يكون قد اطل على واقع عريض وواسع فيما هو يواصل رحلته الحياتية بثقة وامل .

بغداد **خضير عبدالامير**

دار الاداب تقدم

امرأتان في امرأة

رواية بقلم

الدكتورة نوال السعداوي

صدرت حديثا